

حكاية فتاة

للأبي جعفر محمد بن يوسف أحملي

حكاية فتاة

طرقَ باب بيتنا شاب متدين يطلب يدي من والدي... وأنا يومئذ في السابعة عشر من عمري... فلما أشرقت أسارير وجه أبي لخطبتي تسرّبت الفرحه إلى قلبي.. وما ذاك لرغبتي بالزواج، لا والله... ولكن حتى أخرج من هذه الحياة الضيقة الواسعة إلى رحابتها..!

ضيقة في المعاملة.. ضيقة في المجاملة.. ضيقة في الصدر..

واسعة في الدنيا.. واسعة في الشقاء.. واسعة في الكبد..

إلى رحابة هذه الدنيا وهذه العيشة الهنية..

فقد كنت أعيش مع والدي وزوجته بعد أن طلق أبي أمي وأنا في زهرة الطفولة والبراءة في الخامسة من عمري.. فاحتضنتني عمي زوجة أبي.. لأنني لم أحتمل العيش مع أمي وزوجها.. استعملوني عندهم كالأمة أو الجارية لا كرامة لي ولا مكانة.. أهان وأستهان.. أعمل في القصر بمشاقّ الأعمال..

أخذني والدي وربّني زوجة أبي.. ولكن شتان ما بين النائحة الشكلى والنائحة المستأجرة..! مرت الأيام والأسابيع وإذا بي عروس أُزف لرجل لا أعرف عنه شيئاً سوى أنه (شاب متدين)..!!

[الليلة الأولى من زفافي]:

كان يوماً شاقاً وجميلاً.. أحسست أنني ملكة جمالٍ زُفّت لفارس أحلامها.. طالما انتظرتُ هذه اللحظة، وأنا كلي تطلعاً للحياة السعيدة، الهادئة، الهنية..

حقاً كان رجلاً متديناً، وحافظاً لكتاب الله، وداعياً إلى الله.. يسأله هذا.. ويستفتيه ذاك.. ويجب هذه.. ويفتي تلك.. وأنا متعجبة.. مستغربة.. مندهشة لشدة حرص زوجي على نفع الناس.. تأثرت به كثيراً وأحببته وأحبني، ولكن... كان يعكر صفو ودادنا سرعة فوران دمه واشتعالها حتى تصل إلى درجة الغليان.. ولكأن رأسه يغلي.. فيُخِيل إليّ أن الدخان يصّاعد من قمة رأسه غضباً، وعيناه حمراوتان تُرعب الشجاع، وتُضعِف السيّد المطاع..

يا لها من نظرات.. ويا لها من زفرات.. أزيه كزئير الأسد عندما يتحدث مُعْضَبًا.. وكأن الشيطان تَلَبَّس به.. يقف شعره كأنه قرنا الشيطان..

لا أدري لم هذا التعامل معي أنا فقط..!؟

وإذا تحدث مع صحبه والناس عموماً كأنه ملاك.. حلیم، ودیع، حنون، رفيق بهم يصبر على أذاهم...!

ليته كان معي كما يكون مع آحاد الناس يَهْش وَيَش إذا رأي..

لا أدري ما السر! ولا أدري ما السبب! هل لأني أنثى ضعيفة..!؟ هل لأن أبي وأمي لا

يسألان عني ولا يُرَاعِيَانِي..؟ هل لأنني أحبته أكثر من حبه لي..؟

يهجرني بلا سبب.. إذا رجع إلى البيت همه أمران: بطنه وفرجه..

وكان التاريخ يعيد نفسه... استرجعت ذكرياتي قليلاً إلى الوراء فتذكرت معاملة أبي وزوجته

لي.. فقلت: ما الفرق؟ المعاملة هي المعاملة، الإساءة هي الإساءة..

فكرت بالطلاق كثيراً.. فقلت: هل سيستقبلاني أم يرفضني..

استخرت الله فقلت: أصبر وحسبي الله ونعم الوكيل..

استمرت هذه المعاملة ثلاث سنوات من زواجنا..

لم أستطع التحمل.. حتى كدت أنفجر.. بلغ السيل الزبى..

فكرت بمصارحته ونصحه ولكني لم أعتد ذلك فقد تعودت الكتمان أيام عيشي مع والدي

وأرفع شكايي لخالقي.. فأحسست أنني وحيدة.. غريبة.. فريدة.. كثيبة.. فقيرة.. ضعيفة..

لا سند لي ولا حول ولا قوة.. فلجأت ذات يوم إلى الصلاة في الثلث الأخير من الليل..

صليت ما كتب الله لي أن أصلي.. فلم يبق على الفجر إلا ربع ساعة.. فجلست أثنى على الله

بما هو أهله وأصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا رافعة يداي... أراها ترتجف..

وجسمي يرتعش.. استحضرت عظمة الله.. وقدرة الخالق.. وأنا أعلم بأن القلوب بين

أصبعين من أصابع الرحمن.. جلست صامتة هُنَيْهَةً وعيني تُعْرَغُ بالدمع.. لا أعرف كيف

أبدأ.. وماذا أقول.. ففتح الله علي.. وقلت: اللهم.. (وصوتي فيه شهقة).. اللهم.. اللهم..

فما تمالك نفسي إلا وأنا أبكي.. أبكي.. ثم أبكي.. اللهم أصلح زوجي.. اللهم اهد

زوجي.. اللهم حَسِّن خلقه معي.. اللهم ارفع قدره في الدنيا والآخرة.. اللهم احفظه من كل سوء وخلق سيء.. اللهم اهده لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت.. واصرف عنه سيئها لا يصرف عنه سيئها إلا أنت...

اللهم إني أشهدك أي أحبه.. اللهم هَنِّئ عيشنا.. وأسعد صحبتنا.. اللهم.. اللهم.. حتى دخل الفجر..

مسحت دمعتي، وصليت الفجر، ثم خلدت إلى النوم..
سافر زوجي إلى بلدة نائية صغيرة بعيدة بُعث من قَبْلِ العمل.. فبقيت وحيدة فريدة في هذا البيت الواسع..

نظرت إلى الجدران.. فتأملت فيها.. وقفت قَبْلها أكلمها وأصرخ عليها كأنني مجنونة تكلم جدرانًا مصمتة.. فجعلت أصرخ وأندب وأعلي صوتي عليها علَّها تسمع ما أقول وتعي ما أريد فتُبَلِّغ زوجي رسالتي المخبأة في قلبي...

عاد زوجي من السفر.. وكان مُتعبًا.. مُنهكًا.. يبحث عن الفراش.. سلَّم علي ثم نام.. وأنا أنظر إليه وهو في غَطِيظِهِ وشَخِيهِرِهِ.. قلت في نفسي: أين الشوق وأين الحب وأين العشق الذي يتحدث الناس عنه..!؟

كتمت ذلك في نفسي وكلني جروح في قلبي.. والحوادث والمواقف تُشْرِطُ شرايينَ قلبي، وتَفْقِدُ أواصلَ كبدي..

لم أتحمَل.. قد تحملت حِمْلًا كبيرًا.. تحملت ما لا يتحمله جبل.. أحسست بثقل في رجلي.. وكأني مُكبَّلة بسلاسلَ من حديد، مُوقدة بأسلاك من نحاس.. مُبَلَّمة اللسان.. فاستعنت بالله.. ودعوت الله أن يزيل ما بي من هم وغم وحزن وثقل.. فلما دخل علي زوجي ذات يوم فإذا بالأحمال والأوزان تراح من صدري وجسمي وفؤادي..

ورُزِقت حينها الجرأة والشجاعة والقوة والحكمة والفطنة..

فقلت: زوجي الحبيب.. أريد أن أكلمك في أمر مهم..

قال: تفضلي..!

قلت:.....أأ.....سكتُ بُرْهة..

قال لي: تكلمي...!!

... (لم أتمالك نفسي).. فأجهشت بالبكاء.. وظللت أبكي بكاءً مريراً.. لم أبك أمامه قط..
استغرب مني..

فقال: ما بك؟! ما الذي حصل.. قولي لي.. أفجعتيني...!!
وأنا أريد أن أتكلم.. لكن لا أستطيع.. لا أطيق.. ثقل لساني مرة أخرى.. لا أعرف غير
البكاء..

فلما انتهيت من البكاء.. قلت: زوجي الحبيب: أعطني مجالاً أفضفضُ ما في قلبي.. وأعرب
عما في نفسي.. حتى ترى المعاناة والمآسي التي تعيشها زوجك...!!
لقد عشت حياتي كلها في شقاء وعناء وضنك وضيق مع والدي في بيت زوجها سنتان ثم
قضيت حياتي مع والدي وزوجته حتى ساعة زفتي إليك.. ما كان يمر علي يوماً أخلد فيه إلى
الفراش إلا وأبُلُّ وسادتي بدموعي..

عشت شظفَ العيش.. فلما تقدمت لي ظننت أنني سأنجو من هذه الحياة التعيسة.. فما أن
قضينا شهراً من زواجنا إذا بالكوايس التي كانت تلاحقني قد عادت تَهْزُ مضجعي..
زوجي الغالي: هي نصائح ووصايا وتوجيهات من خير البرية رسول الله صلوات ربي وسلامه
عليه...

أنا لا أقارنك بي فأنت أفضل مني بكثير.. أنت تحفظ كتاب الله تعالى، وتتعلم وتُعلِّم الناس
الخير، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: [أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ]^١.. ولكن الله

عز وجل يقول: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٥) الذاريات: ٥٥..

وأنا أعرف أنك صاحب همّة عالية تريد السبق بالطاعات..

فأنت تُعلِّم الناس القرآن، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: [خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ
وَعَلَّمَهُ]^٢ فأنت حزت الخيرية في هذا المجال بإذن الله تعالى..

^١ صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم ٢٦٢٣ حسنه الألباني.

^٢ رواه البخاري .

وَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ الْعِلْمَ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: [إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ، وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ]^١.

وهذا فيما بينك وبين عموم الناس.. ولكن...

(نظر إلي وكأنه ينتظر كلامًا لم يسمعه من قبل...!)

..ولكن قالت عائشة رضي الله عنها: قال: النبي صلى الله عليه وسلم: [خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي]^٢..

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يقتصر الخيرية في التعامل مع الناس عامة.. فقد شَحَذَ همّة المسلم حتى تكون معاملته في البيت -التي لا يَطَّلِعُ عليه أحد إلا الله ثم أهل البيت المستور- مساوية أو أفضل من معاملة الناس عامة..

فَحَرِيٌّ بالمسلم إذا عَقَلَ هذا الحديث أن يتطلع بـهَمَّتِهِ إلى العُلا، والمكانة المرموقة عند الله، والتفوق على كل متزوج فَتَحَوَّزَ على هذه الخيرية.. فهذا ميدان التنافس بين الأزواج دونك هذا السَّبَقِ..

رفع رأسه ووجهه مُحَمَّرَ فقال: ماذا حدث؟!

هل قصرتُ في شيء؟! أَلَيْسَ لك كل ماتريدين..

البيت؟! تسكنين في أوسع البيوت وأفخمها..

الخدم؟! جلبت لك الخدم والحشم وجعلتهم تحت إمرتك..

السيارة؟! اقتنيت لك سيارة خاصة بك تأخذك إلى أي مكان تريدين وفي أي وقت تشائين..

ماذا بعد؟!

زوجي الكريم: دع كل هذا على حدة، فأنت لم تقصر في هذا الجانب البتة.. فإني أحمد الله تعالى أن رزقني هذا الرزق الحسن، وجعل معيشتي في أحسن حال.. أنت ذَكَرْتَ الحياة

^١ صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم ١٨٣٨ صححه الألباني.

^٢ صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم ١٩٢٤ صححه الألباني.

والحقوق الظاهرة والدينية، ولكن حديثي هو عن الحياة الداخلية.. القلبية.. الجوفية.. حياة قلب زوجك وحييتك..

زوجي الغالي: أرجو أن تجعل هذا الحديث -حديث عائشة رضي الله عنها السابق- أصلاً لك في تعاملك معي.. تُبرِّزُه نصب عينيك إذا دخلت البيت.. إذا كلمتني.. إذا عاملتني.. إذا سامرتني.. إذا نصحتني.. إذا غضبت..!!

نعم إذا غضبتَ زوجي الكريم..

قال: مه.. انتظري.. إذا غضبتُ؟! ماذا تقصدين بـ [إذا غضبتُ]؟!.. أقصد...

قال: انتظري، لم أنهِ سؤال بعد!!

(فَخَرَسْتُ وَصَمْتُ وَقَلْبِي وَجَلُّ...)

قال: ومن قال بأني غضوب؟! سل كل أصحابي وأصدقائي وجيرانني والناس أجمعين، فإنهم قد اجتمعوا على أني رجل حلیم وحكيم ومحسن!! والنبی صلی الله علیه وسلم عین كيف يعرف أحدنا أنه محسن، فقال الرجل الذي سأل النبي صلی الله علیه وسلم: [وكيف أعلم أني محسن؟ فقال: تسأل جيرانك فإن قالوا إنك محسن فأنت محسن، وإن قالوا إنك مسيء فأنت مسيء]¹.

قالت: أنهيت..

قال: نعم، تكلمي..

قالت: نعم أنت كذلك.. حلیم رفيق وديع مع الناس محسن بهم وهذا بشهادة كثير من الناس وزوجات أصحابك كذلك... ولكن.. أنا أتحدث عن معاملتك مع المسكينة اليتيمة الفقيرة زوجك.. (شَخَصَ بَبَصْرِهِ إِلَيَّ مُتَعَجِّبًا مِمَّا قُلْتُ).. نعم، أعني معاملتك معي أنا..

قال: وما بها معاملتي بك؟! (وكانه فَطِنَ بما أريد) فقال: أأ... ما مددت يدي إليك قط!! وما أهنتك قط..!!

¹ السلسلة الصحيحة ٣/٣١٧ حديث رقم ١٣٢٧ صححه الألباني.

قالت: زوجي الفاضل.. أحياناً يتلفظ المرء بأمور لا يشعر بها، وبالأخص إذا كان في حالة غضب.. ومرّ على زواجنا ثلاث سنوات وأنا صابرة متحملة غضبك عليّ في أمور لا تكاد تُذكر وفي أتفه الأمور.. وها أنا ذا أجلس بين يديك وكُلّي همّ في مصارحتك ونصحك وتغيير هذه الصفة منك..

زوجي الحبيب: اعلم أنني فكرت كثيراً بالانفصال.. وأنا والله لا أريده وأبغضه لا سيما من زوج كزوجي... وأنت تعلم أن الذي في بطني إنما هو جزء منك... ولكن قلبي لم يكد يتحمل أكثر من هذه الجفوة والقسوة.. فكل شيء له حد ينتهي إليه المطاف...

فهل تأذن لي أن أقف اليوم مقامك في النصيح؟!

هَزَّ رأسه وهو متردد فقال: .. هاتِ...

قالت: لو أن رجلاً أتاك يستنصحك ويستوصيك فبماذا توصيه؟

قال: وكأنك تلمحين إلى شيء؟! .. في الحقيقة.. أحتار من أول وهلة بم أوصيه.. فهناك أمور مهمة كثيرة تصلح أن تكون وصية..

قالت: أنا آتيك بالإجابة..

عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال رجل: يا رسول الله أوصني، قال: **[لا تغضب]**^١.

تمعن جيداً زوجي الكريم في وصية النبي الحليم صلوات ربي وسلامه عليه، فقد كانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم للرجل أن **[لا تغضب]** لِمَ؟!

يفسرهُ قول الرجل الذي أوصاه بهذه الوصية الغالية، قال: ففكرت حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله^٢...

اعتدل في الجلسة ونزع ما على رأسه وقال: .. نعم.. هاتِ..

قالت: فالشيطان يركب ابن آدم إذا حَمَقَ وغضب..

قال: وكيف ذاك؟!

^١ رواه أحمد وأحمد ورواهم محتج بهم في الصحيح وصححه الألباني.

^٢ المرجع السابق.

قالت: لَمْ يَقُولِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ سَكَنَ غَضَبُهُ]¹.

ورُوي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: [اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ، فغَضِبَ أَحَدُهُمَا غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى خِيلَ إِلَيَّ أَنَّ أَنْفَهُ يَتَمَرَّعُ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ مِنَ الْغَضَبِ». فَقَالَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». قَالَ: فَجَعَلَ مُعَاذُ يَأْمُرُهُ، فَأَبَى وَصَحَّكَ، وَجَعَلَ يَزْدَادُ غَضَبًا]².

وانظر كيف امتدح النبي صلى الله عليه وسلم الأشج عبد قيس فقال له: [إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ]³.

يا لها من تزكية.. يا لها من مفخرة.. يا لها من مديحة..

النبي صلى الله عليه وسلم يزكي صفة من صفات الرجل ويحبها الله ورسوله... آه.. ليتها تصيبك هذه التزكية والمحبة فتحلّ البركة في دارنا فتصينا أجمعين... فـ[المرء على دين خليله]⁴.

اندهش الزوج وقال: والله ما حلّت البركة في دارنا إلا بحلمك وصبرك عليّ!!
قالت: قال ابن عمر رضي الله عنهما أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يباعدني من غضب الله عز وجل؟ قال: [لا تغضب]⁵.

ووالله ليس لنا همٌّ في هذه الدنيا خلا البعد من غضب الجبار والدنو من رحمة الرحمن...

¹ صحيح وضعيف الجامع الصغير حديث رقم ٦٩٥ صححه الألباني.

² ضعيف الترغيب والترهيب حديث رقم ١٦٤٦ ضعفه الألباني وورد باللفاظ أخرى مقاربة في صحيح مسلم.

³ رواه مسلم.

⁴ رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب، قال النووي: إسناده صحيح..

⁵ صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم ٢٧٤٧ حسنه الألباني.

ما كان همّ الصحابة وشغلهم الشاغل إلا ذاك.. لذلك كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما يقول: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني^١.

نظر إليّ وأخذ كوب الماء فجعل يشرب، وكلما وضع الكوب علّ مرة أخرى وشرب حتى أنهى الإناء..

قالت: وفي حديث آخر قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: دلي على عمل يدخلني الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [لا تَغْضَبُ، وَلَكَ الْجَنَّةُ]^٢.

فأسباب دخول الجنة عديدة كثيرة.. وصاحب الهمة العالية لا يرضى إلا أن يدخل بها كلها.. ولا يخفى عليك حديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما ذكر بأن أبواب الجنة ثمانية، فقال أبو بكر رضي الله عنه: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ^٣.

فهذه همة ما بعدها همة.. همة لا تفكر أن تناطح السحاب فحسب.. لا والله بل همة تريد أن تصل أقصى درجات رضى رب الأرباب.. وخالق الإنس من طين وتراب..

رفع الزوج حاجبه مُعْجَبًا بالحديث وقال: أين أنا من هذه الهمة العالية!!

أسأل الله أن يرزقني هذه الهمة العالية..!!

قالت: زوجي الكريم.. أتظن أنك بالغضب تغلبي وتظهر قوتك وشدتك عليّ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: [لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ. إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ]^٤.

وانظر كيف يؤكد صلوات ربي وسلامه عليه أن حلم الرجل وكظمه غيظه لا يغلب ويصرع فَحَسْبُ وإنما يغلب الشيطان وحزبه قال النبي صلى الله عليه وسلم: [أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ هُوَ

^١ رواه البخاري حديث رقم ٧٠٨٤.

^٢ صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم ٢٧٤٩ قال الألباني: صحيح لغيره.

^٣ رواه البخاري حديث رقم ١٨٩٧.

^٤ رواه أحمد وصححه الألباني.

أَشَدُّ مِنْهُ؟ (يعني الصريح) رَجُلٌ ظَلَمَهُ رَجُلٌ فَكَظَمَ غَيْظَهُ فَعَلَبَهُ، وَغَلَبَ شَيْطَانَهُ، وَغَلَبَ شَيْطَانُ صَاحِبِهِ^١.

قال الزوج: إِذَا مَا الْحُلْ..؟ وما الْعَمَلْ..؟ أنا هكذا جُبِلْتُ.. وهكذا رُبِّيتُ.. كيف أعالج هذا الغضب.. أعينيني رحمك الله..؟!

قالت: يقول الله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ] فإرادة التغيير هي أولى خطوات التغيير عموماً.. وتقطع عليك نصف الطريق..

قال: طَيِّب.. وماذا بعد؟

قالت: قول النبي صلى الله عليه وسلم: [إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ سَكَنَ غَضَبُهُ]^٢.

لأنه بذلك يطرد وساوس الشيطان التي تَفُزُّه وتَوُزُّه وتثيره للغضب.. فيقطع بذلك هذه الوسواس...

قال: نعم.. ثم..؟

قالت: قول النبي صلى الله عليه وسلم: [عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ]^٣.

فالسكوت يقطع دابر كل كلمة قد تُؤدي بمصرع المرء.. لأن المسلم مؤاخذ على ما يقول إلا إذا وصل مرحلة الإغلاق، ولن يوصل المرء نفسه هذه المرحلة إذا علم أنه لن يصل نصفها فضلاً عن ربعها إذا سكت... فالسكوت سَلَمٌ لك ولمن معك...

قال: هل ثمة شيء بعد؟

قالت: قول النبي صلى الله عليه وسلم: [إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ]^٤.

^١ السلسلة الصحيحة للألباني ٧ / حديث رقم ٣٢٩٥ صححه الألباني.

^٢ صحيح وضعيف الجامع الصغير حديث رقم ٦٩٥ صححه الألباني.

^٣ رواه أحمد وصححه الألباني.

^٤ رواه أبوداود وصححه الألباني.

فتغيير الوضعية والهيئة التي عليها يتغير حال المرء من الغضب إلى الحلم، لأن الغضب يذهب بذهاب تغيير الحالة..

تَصَبَّبَ الزوج عرقاً وأدرك أنه قد أُسْقِطَ في هذا الحوار، ففتح أزرار جيبه واعتدل في الجلسة وقال بصوت منخفض ووديع: ..تفضلي يا غالية..

قالت: رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ]¹.

ومعلوم أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، والمرء إذا غضب فار دمه وغلا، فيجتمع فوراً دمه مع جريان شيطانه فيَقْوَى داعي الغضب أكثر بذلك فلا ينطفئ إلا بذكر الله والوضوء.

ولأنه رُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: [أَلَا إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ، أَلَا تَرَوْنَ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ، وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَلَاأَرْضَ الْأَرْضَ، أَلَا إِنَّ خَيْرَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ بَطِيءَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الرِّضَا، وَشَرُّ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ سَرِيعَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الرِّضَا، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ بَطِيءَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الْفَيْءِ، وَسَرِيعَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْفَيْءِ فَإِنَّهَا بِهَا]².

طأطأ الزوج رأسه خجلاً من نفسه وقال: إن الطريق طويل.. إن الطريق طويل.. (يقصد بذلك الطريق إلى الله) ..

قالت: يا لها من حياة مستقرة... سعيدة.. هنية.. دون إغضاب رب الأرباب.. تتكامل مع منهجك العلمي والعملية والدعوي فتصبح كدرة غالية نفيسة، ثمينة، يتمنى كل من رآك أَلُوَ يلتمس شيئاً من أدبك وخلقك وحلمك...

¹ رواه أحمد وأبو داود وضعفه الألباني.

² ضعيف الجامع الصغير حديث رقم ١٢٤٠ وضعفه الألباني من حديث أبي سعيد الخدري.

وأخيراً زوجي الكريم... أعرف أنني قد أسهبت في الحديث.. وأطلت الكلام والعتاب.. بل النصح الصريح الجميل فالدين النصيحة^١.. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: [لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ]^٢..

أختم بتذكيري لك حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي أفسحرت بدني بسماعه.. وعلقتني بك وبحبك كثيراً.. وزادني اشتياقاً لملاقاة ربي..

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: [أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ فِي الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَدُودٌ وَلُودٌ إِذَا غَضِبَتْ أَوْ أُسِيءَ إِلَيْهَا أَوْ غَضِبَ زَوْجُهَا قَالَتْ: هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ لَا أَكْتَحِلُ بَعْضُ حَتَّى تَرْضَى]^٣.

قال الزوج وهو مُتَبَسِّمٌ كأن وجهه القمر وعينه تغمران بالدمع قال: جزاك الله خيراً ما يجزي زوجة عن زوجها.. أفضل ثناء أستطيع أن أقوله لك.. نعمت الزوجة أنت.. أنت أنت.. أعاهدك أن لا أغضب بعد اليوم إلا لله.. ولا أؤذيك أبداً..

أسأل الله باسمه الأعظم أن يرفع شأنك ويعلي ذكرك ومكانتك في الدارين.. اللهم آمين.. فلما انقضى ذلك اليوم، وكان يوماً طويلاً طويلاً.. اغتبطت بزوجي.. فلا أرتضي بديلاً سواه..

أسأل الله أن يحفظنا ويستر علينا ويهدينا ويسر الهدى لنا فإنه خير مسؤول..
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

وكتبها

أبو جعفر

محمد بن يوسف أهلي

٢١ محرم ١٤٣١هـ

٨ يناير ٢٠١٠م

^١ متفق عليه.

^٢ متفق عليه.

^٣ صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم ١٩٤١ قال الألباني: حسن لغيره.